الافتتاحيّة بقلم المدير العام للامن العام
اللواء حسن شقير

الأمن القومي خيار البقاء

تمر منطقتنا في واحدة من اكثر اللحظات التاريخية خطورة وتعقيدا، لحظة تختلط فيها الحقائق بالتهديدات، وتتراجع فيها القوانين امام منطق القوة، حيث يتبدى الانفلات الإسرائيلي على نحو غير مسبوق. فإسرائيل، التي لم تلتزم يوما قرارات الشرعية الدولية، تجاوزت اليوم كل المعايير الإنسانية والاخلاقية، وجعلت من سياساتها العدوانية نهجا ثابتا يرمي الى تفكيك منظومة الاستقرار في المنطقة بأسرها، ولم يعد الامر مجرد خرق للقوانين او مخالفة للمواثيق، بل تحول الى تهديد مباشر لمفهوم الدولة والكيان، والى استباحة متعمدة للسيادة العربية.

ولبنان، كما كان دائما، في قلب هذه العاصفة. بلد صغير جغرافيا، لكنه محوري بحكم موقعه ورسالة وجوده، يتأثر بالحرائق المشتعلة من حوله، لكنه يرفض الانكسار امامها. وسط هذه المواجهة، يبرز دور القيادة الوطنية المتمثلة برئيس الجمهورية العماد جوزف عون الذي يثبت، يوما بعد يوم، ان الحكمة قادرة على تجنيب لبنان الانزلاق نحو المجهول. فبالتكامل مع رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحكومة نواف سلام، تنسج شبكة امان متينة هدفها الحفاظ على الكيان اللبناني في حدوده المعترف بها دوليا، وصون الدولة ومؤسساتها، وحماية الشعب من محاولات الاستباحة والابتزاز. إنها مسؤولية كبرى، تتطلب وعيا عميقا بأن لبنان ليس مجرد ساحة، بل وطن يستحق البقاء.

وقد جاء العدوان الإسرائيلي على قطر ليشكل ناقوس خطر غير مسبوق، إذ تخطى حدود الضغط التقليدي الى محاولة اغتيال فكرة الحوار نفسها. فالهجوم على دولة جعلت من الوساطة والتفاوض رسالة ودورا، كان في جوهره محاولة لتصفية قيم الحل السلمي من الاساس. لكن ما استوقف الجميع هذه المرة، ان الرد العربي جاء مختلفا. فمن قمة الدوحة الى اروقة الأمم المتحدة، ارتفع صوت واحد يجمع بين الحكمة والحزم. كان ذلك الصوت مثابة نقطة انعطاف اعادت الاعتبار الى فكرة التضامن الفعلي، ودفعت الى مسار مغاير لما اعتدناه من ردود افعال شكلية لا تسمن ولا تغني من جوع. لقد بدا واضحا أن زمن الاكتفاء بالشجب قد ولى، واننا امام وعي جديد بضرورة الانتقال الى المبادرات الفاعلة.

انطلاقا من ذلك، تبرز الاولوية المطلقة لاستنفار كل الطاقات العربية، بكل تجلياتها ومستوياتها، من السياسة الى الاقتصاد ومن الامن الى الثقافة، من اجل صوغ منظومة أمن قومي عربي. هذه المنظومة ينبغي ان تكون الدرع الحصينة التي تحمي شعوبنا، والردع الفعال امام اي قوة تفكر في العبث بالتوازنات وفق مصالحها واهوائها. الامن القومي العربي، في هذا السياق، اصبح خيارا وجوديا تفرضه الوقائع القاسية. فالمخاطر التي تهددنا لم تعد نظرية او بعيدة، بل هي يومية، ملموسة، ومفتوحة على احتمالات كارثية اذا لم نواجهها برؤية مشتركة وارادة جماعية.

ولبنان، الذي خبر مرارة الاعتداءات الاسرائيلية وذاق كلفة الاحتلال والاستباحة اكثر من مرة ولم يزل، يمتلك ما يؤهله ليكون جزءا اصيلا في بناء هذه المنظومة الجديدة. فمن خلال خبراته المتراكمة في الصمود والمواجهة بكل اوجهها، ومن خلال طاقاته البشرية التي اثبتت قدرتها على تحويل الالم الى فرصة، يستطيع لبنان ان يشارك في صياغة معادلة الامن القومي العربي. ليس من موقع الدفاع عن نفسه وحسب، بل من موقع المساهمة في حماية العمق العربي ككل. فلبنان الرسالة، الذي دفع اثمانا باهظة ليحافظ على استقلاله وكرامته، قادر على ان يحول معاناته الى قيمة مضافة في المشروع العربي الاشمل.

التحديات بلا شك كبيرة، والمعارك مفتوحة على اكثر من جبهة، لكن الامل اكبر، طالما ن هناك ارادة صلبة تقود السفينة بحكمة، وتحاول تحويل لحظة الخطر الى فرصة لاستعادة زمام المبادرة. لقد علمتنا تجارب التاريخ ان الشعوب التي تملك الشجاعة في مواجهة الواقع كما هو، وتملك الرؤية لاستشراف المستقبل كما يجب ان يكون، هي وحدها القادرة على النجاة وصنع الفارق. التاريخ لا يرحم المترددين، ولا يكافئ المنقسمين، بل يكتب سطوره بأحرف من نور لأولئك الذين امتلكوا شجاعة الموقف ورؤية المستقبل.

اليوم، نحن امام منعطف حاسم حيث يتقرر مصير منطقتنا بين ان تكون ساحة مستباحة او ان تصبح درعا منيعة. الخيار واضح؛ الامن القومي العربي لم يعد حلما مؤجلا، بل هو حق وضرورة، وهو قبل ذلك كله شرط البقاء ذاته.